التضاد البؤري في شعر ابن حمديس الصقلي (ت٥٢٧هـ)

– دراسة أسلوبية –

أ.م.د. بسمة محفوظ البك فاتن طه أحمد

تاريخ الاستلام تاريخ القبول
٢٠١٣/٩/٢ ٢٠١٣/١١/٦

الملخص

على الرغم من كثرة التضادات وأنواعها في شعر ابن حمديس إلا أننا رصدنا نوعًا جديدًا من التضادات لم يكن معروفًا سابقًا ألا وهو التضاد (البؤري) وهو في أبسط مفهومه عبارة عن لفظة ظاهرها تكرار للفظة تشابهها ذكرت في السياق وباطنها تكرار لنوعين من التضاد ويكون هذان النوعان على الأرجح تضاد سلب وتضاد ايجاب، والجديد في هذا التضاد أننا متى ما حذفنا اللفظة (البؤرة) المكونة لهذين النوعين . من التضاد. ينتفي التضاد وينتهي.

ويعد هذا النوع من التضاد جديدًا وشاهدنا منه الكثير في شعر ابن حمديس حتى شكّل ظاهرة أسلوبية في شعرة لم تتشكل في شعر أحد من قبله.

مدخل :

من خلال الاهتمام باللغة وخصوصيتها في النص والكشف عن أبعادها تتحدد لنا خصائص النص ومظاهره الأسلوبية والإبداعية، ففضلاً عن أنواع التضاد المختلفة يقدم لنا النص نوعًا جديدًا له طريقة خاصة في التأليف وهو ما يعرف بالتضاد البؤري الذي يمكن تعريفه بظهور " لفظة ظاهرها تكرار للفظة تشابهها ذكرت في السياق وباطنها بؤرة لنوعين من التضاد "[١] ويكون على الغالب "سلب، إيجاب " [٢]، أي أن تظهر لفظة تمثل البؤرة بين لفظتين متساويتين في المعنى والدلالة ، فإذا حذفت هذه اللفظة انتفى التضاد الحاصل في النص ، وإذا بقيت شكلت ثنائيتين متضادتين ، ولهذا سمي هذا النوع (بالتضاد البؤري) ومن هنا نلاحظ وقوع التضاد بين ثلاث مفردات، تشكلت مع بعضها في السياق عن طريق اجتماع أكثر من نوع من التضاد؛ لأن " الملامح الأسلوبية تتعدد طبقًا لتوظيفها في السياق فنموذج التضاد الواحد يمكن تقديمه بطريقة تختلف من سياق إلى آخر طبقًا لنوعية النص والموقف الاستبدالي والعصر الأدبي وغير ذلك من العوامل "[٣]، ويمكن أن تتفاعل هذه العناصر عن طريق قدرتها المتمثلة في تحريك الدلالة واتجاه المعنى فتحدد قيمتها من خلال التمركز داخل النص وتكوين صورة في البيت الشعري تختلف حسب السياق ما يجعل تأثيرها في المتلقي عميقًا.

إن" الصور الشعرية لها دلالات إيحائية تختلف باختلاف تصور المتلقي وإدراكه وخبرته السابقة عن عناصره أو طبيعة الإثارة التي تولدها في نفسه ومخيلته " [٤]، فالخالق الشعري بالأساس يمتلك لغة تقوم على المغايرة والتضاد وليس على التوحد والتشابه [٥].

ويمكن رصد هذا النوع من التضاد في شعر ابن حمديس في مواضع عدة منها قوله في الشيب [٦]:

أتـرى بيـاض الشـيب مـاءٌ غاسـلاً فـــي العارضـــين وللشـــباب ســـوادا
خانـتْ سـعادُ وقـد وَفَـى لـك لونهـا لـــو خـــان مـــا وَفّـــى ملكـــتَ ســـعادا

يمكن أن نرصد في البيت الأول تضاد المقابلة بين (بياض الشيب/ للشباب سوادا)، كما تبرز الثنائيات الضدية بوضوح في البيت الثاني بين (خانت/ وفى/ ما وفى) القائمة على التضاد البؤري فجاءت لفظة (ما وفى) مرتبطة بلفظة (خان) التي تحمل معناها ودلالتها في سياق البيت، فلفظة (وفى) هي البؤرة المرتكزة عليها الألفاظ ودلالة البيت هي وفاء الشيب أي ظهور (الشيب).

وفى ≠ خانت.

وفى ≠ خان (ما وفى).

فيصور بذلك خيانة سعاد (خانت سعاد) وقد وفى الشيب (أي بياض)، ثم يبين أنه لو خان الشيب (ما وفى) لملكت سعاداً، فيقابل الشاعر بذلك بين عدم خيانة الشيب ووفائه، وخيانة سعاد؛ إذ تتعاضد هذه الألفاظ جميعها في تقديم دلالة سلبية متناسبة مع السياق؛ لأن وفاء الشيب وظهوره يحقق خيانة سعاد، بينما لو خان الشيب ولم يظهر لتحقق وفاء سعاد و (لو) هنا حرف امتناع لامتناع التي أفادت عدم تحقق الدلالتين، فبذلك نلاحظ قيام البيت على الدلالة السلبية المتمثلة في الجانبين (وفاء الشيب + خيانة سعاد) . والمخطط يوضح ذلك:

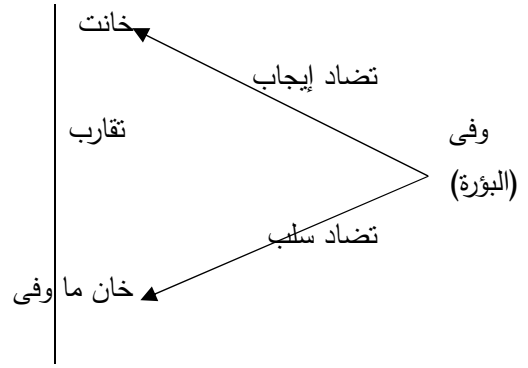

وقال في رثاء ابن أخته [٧]:

نعـيٌ دُهيـتُ بـه فمـتُ وإن أعِـشْ خلـفَ المنـون فلـم أعـش بمـرادي

إن مفردات التضاد الأساس هي (مت/ اعش/ فلم أعش) إذ يقع التضاد مترابطًا بين هذه المفردات، لأن هناك مفردة شكلت البؤرة بين الثنائيات إذا حذفت بطل التضاد وهي (أعش) وهي تشكل ثنائيين متضادين إذ يقع التضاد بين:

مت ≠ اعش (إيجاب).

أعش ≠ لم أعش (سلب).

يصور الشاعر نفسه بوفاة ابن اخته ميتًا من قوة تأثره بالخبر وهو لم يقصد هنا الموت الحقيقي وإنما الموت النفسي الداخلي والدليل على ذلك لفظه (أعش)، فانه يعيش أي (حيّ) لكن يناقض العيش بعدم العيش بإرادته (فلم أعش بمرادي) أي كأنه ميت وهو حيّ؛ لأن معيشته لا يريدها، فالحياة والموت هنا عنده سواء لأنه يعاني من الألم والحزن فيشعر بالموت والموت ليس مجرد فكرة لدى الشاعر بل إنها تشكل عالمًا واسعًا يعيشه.

وقال في رثاء القائد عبد الغني ابن القائد عبد العزيز الصقلي [٨]:

قـد دُفِعنَـا إلـى حيـاةٍ ومـوتٍ ونشـورٍ إلـى الإلـه العَلـيّ

ودوامُ البـقاءِ فـي أخـرى ومجـازاةُ فاجـرٍ وتَقِـيّ

يركز الشاعر في رثائه للقائد عبد الغني على قضيه الحياة الأبدية الخالدة عند الله عز وجل، فيقدم حقيقه تسير في طريق معلوم لدى المتلقي تأتي متتالية ومتسلسلة ، دُفعنا إلى (حياة موت نشور) فيكون الموت هو البؤرة الأساس بين اللفظتين (حياة/ نشور)، تمثل لفظة (حيــاة) الدنيا الفانية والنشور الحياة الخالدة الباقية فيكون الموت وسطًا وهو يؤدي إلى الانتقال مــن الحياة إلى النشور وبذلك نستطيع القول أن الموت هو البؤرة لأنه موقع الحدث والقصد مــن الشاعر وهو حقيقة واقعة لابد منها ومن ثمّ يكون مساواة بين الجميع، كما يمثل الانتقال إلــى الحياة الأخرى الجزائية (الجنة أو النار) حسب الأعمال التي قام بها الشخص والتي تمثل أيضا (الحياة أو الموت).

كما يمكن أن نرصد في البيت الثاني أيضًا تضاد السياق القائم بين (فاجر/ تقي) الذي يمثل صورة مكملة للحياة الجزائية بمجازاة الفاجر والتقي.

فكل ثنائية ضدية تحيل على أخرى ولا يمكن أن تتلاقى معها بل تكون منفصلة عنها لتخلق ثنائيه أخرى حياة ⟵ موت ⟵ نشور. وهذا المخطط يوضح ذلك:

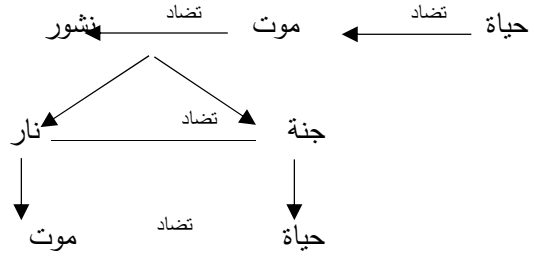

وقد ذكر الشــاعر هذه الـثـنـائيات في صورة أخرى تدل عليها كقوله في رثاء عمته التي توفيت بسفاقس [٩]:

سينســف أمْــرُ الله شــمَّ جِبالهــا كما تَنْسِف الأرواحُ مُنْــهالةَ الكـثـبِ

لِكــلِ حيــاةٌ ثــمَّ مــوتٌ ومبعــثٌ إذا ما التقىَ الخَصمْانِ بَيْنَ يَدَيْ ربّي

وتُســتوقَف الأفــلاك عــن حركاتهــا ويســقُط دريّ النجــوم عن القطبِ

فاستخدم كذلك الثنائيات التي تدل على حقيقة تتابع الكون التي يذكرها بالتسلسل من:

الحياة ⟵ الموت ⟵ المبعث.

فهنا حدث استبدال لفظة (نشور – بالمبعث) التي تحمل معنى واحداً وهي الحياة الأخرى ما بعد الموت، فتمثلت هذه الصورة تضاداً حاصلًا بارتباطها بالبؤرة الدلالية (الموت) فيحصل التضادان:

موت ≠ حياة.

موت ≠ مبعث.

فقد يعبر هذا التناقض والتضاد عن منح النص صورة معبرة عن التقاء الخصمين عند المبعث (إذا ما التقى الخصمان بين يدي ربي) لتكميل الصورة إلى النهاية في التقاء الخصمين المختلفين عند الله لتحقيق العدل والحق بينهما مما يؤدي بالخصم إما إلى الجنة أو النار.

وقال يرثي جاريته جوهرة [١٠]:

إنْ ســـالَمَتْ وهـــي لا تســـالمنَا أيّامُنَـــا حارَبـــتْ لياليهـــا

وَاوَحْشَـــتَا مـــن فِـــراق مُؤنِسَـــةٍ يميتنـــي ذكْرُهـــا ويحييهـــا

يمكن أن نرصد التضاد البؤري في البيت الأول بوضوح واقفًا بين ثلاث مفردات (سالمت/ لا تسالمنا / حاربت) فمثلت لفظة (سالمت) البؤرة الأساس للتضاد، لأن:

لا تسالمنا = حاربت .

فيكون التضاد بين:

تسالمنا ≠ لا تسالمنا (سلب).

تسالمنا ≠ حاربت (ايجاب).

إن لفظة (سالمت) تعود على الدنيا ويناقض ذلك بالتحول إلى الضد عن طريق النفي (لا تسالمنا) فينفي عن الدنيا السلم الذي يضيفه على المتكلمين (نحن)، إذ يحدث بالتضاد التحول في الضمائر يعني حتى ان سالمت (الدنيا) لكنها لا تسالمنا(نحن)، فينتقل إلى الضدّ مع الانتقال في الضمير (هي ⟵ نحن) ثم يتشكل تضاد آخر بين (سالمت/ حاربت) فاستقرت الدلالة في النهاية على الدلالة السلبية الحرب وعدم السلم، إذ تحدث الحرب بين جانبين (أيامنا/ لياليها) على مستوى الفصل بين الطرفين (نحن/ هي) أي بين أيامنا التي تعود على ضمير المتكلمين (نحن) ولياليها التي تعود على (هي) الدنيا، فينتج بذلك حرب بين الطرفين وهكذا تتحرك الدلالة في البيت من الإيجابية (سالمت) لتؤدي دلالة سلبية وهي (لا تسالمنا) (حاربت). وقال يرثي بنية له [١١]:

فمـــتّ بمـــا شـــاء الله ولـــتم أمُـــتْ لِيكتُبَ عمري من حياتي الذي يملي

وفارقـــت روحـــا كـــان منـــك انتزاعُـــهُ أدقّ دبيبًـــا فـــي الجســـوم مـــن النمـــلِ

أرانـــي غريبًـــا قـــد بكيـــتُ غريبـــةٌ كلانـــا مشـــوقٌ للمواطـــنِ والأهـــلِ

نشير في البدء إلى الألفاظ المكونة للثنائيات الضدية في النص والمتمثلة في (فمت / لم / أمت / حياتي)؛ إذ تكونت ثنائيات ضدية عن طريق البؤرة (مت).

مت ≠ لم أمت (سلب).

مت ≠ حياتي (ايجاب).

تشغل البؤرة (مت) مكانتها في النص لتنقل الحدث من الوهم وهو موته إلى الحقيقة التي سيطرت بدورها على الموقف الشعري، فنجد أن الشاعر تنقل بين الموت وعدم الموت أي الحياة. وقوله يرثي القائد عبد الغني بن القائد عبد العزيز الصقلي [١٢]:

أيُّ فـــيْءٍ لمـــن يصـــير تـــرابًا مُحِـــيَتْ مـــنْهُ صـــورَةُ البَشَـــريّ

كيـــفَ تنجـــو علـــى مَطِيَّـــةِ دُنيَـــا وهـــي تَشْـــحو بالجانـــبِ الوحشـــيّ

تطـــرحُ الراكـــبَ الشـــديدَ شموسًـــا وركـــوبُ الشـــموس فعـــل غبـــيّ

غُـــرٌ مـــن ظـــنّ ان يصـــافي دهـــرًا وهـــو للأصـــفياءِ غيـــرُ صـــفيّ

يقدم الشاعر في الأبيات عبارات تحمل مضمونا يتفق مع المعنى المقدم في رثاء القائد عبد الغني يتمثل في أنه لا نجاة من الموت.

يمكن أن نشير في النص إلى التضاد البؤري الحاصل من الألفاظ (يصافي / للأصفياء / غير صف) فشملت البؤرة بينهم لفظة (غير صفي) المشكلة مع الألفاظ ثنائيات ضدية هي:

غير صفي ≠ يصافي.

غير صفي ≠ الأصفياء.

يقدم هذا البيت دلالة سلبية يصف فيها الدهر وهي (غير الصفي) التي أعطت الدلالة المحققة في النص فلا يغرّ أحدكم بأن يصافي دهرا لأنه للأصفياء غير صفي.

وقال يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ويذكره بدخول العام [١٣]:

إنّ ابـــن يحيـــى مـــن وكـــوف الحيـــا فـــي زَمَـــنِ المحـــل ليهمـــي انســـجام

فمـــن حيـــاءٍ لا تـــرى وَجْهَـــهُ إلا وللغـــيم عليـــه لثـــام

لـــئن تزاحمنـــا بســـاحاته فـــالمورْدُ العـــذْبُ كثيـــر الزّحـــام

نطـــول مـــن ســـاعات افْراحـــهِ بالسّـــعْدِ مـــا يقصـــرُ عنـــهُ الأنـــام

اقســـمتُ مـــا بهجـــةُ ايّامـــه فـــي عَبْسَـــةِ الأيـــام إلا ابتســـام

إن ابن حمديس يقدم صورة إيجابية واضحة لممدوحه ويؤكد فيها أن الأمير ابن يحيى الرجل المثال في زمانه فيذكره بدخول عام جديد؛ إذ يتوافد الناس عليه، لأنه المورد الخصب وذو العطاء الكثير.

فيمكن أن نرصد في البيت الرابع من النص تضاد المطابقة بين (نطول / يقصر) ، كما يمكن أن نرصد في النص تضاداً بؤريا في البيت الأخير بين الألفاظ (بهجة / عبسة / ابتسام) إنَّ لفظة (عبسة) هنا هي البؤرة الأساس بين الألفاظ:

عبسة ≠ بهجة.

عبسة ≠ ابتسام.

يقسم الشاعر هنا بأن بهجة أيام الممدوح في عبسة الأيام أي في شدتها وقسوتها ما هي إلا ابتسام وسعادة وهناء وهذا ما يؤكد الدلالة الإيجابية للممدوح .

ويلاحظ أن الشاعر الأندلسي قد ألحَّ " على التضاد في تشكيل مدائحه، بوصفه الأنشطة اللاشعورية التي يبرز من خلالها بعض ملامح واقعه المضطرب الذي يموج بالثنائيات والمتناقضات والصراعات بين محوري التجاذب " (١٤).

وجاء في قوله يمدح الأمير أبا الحسن علي بن يحيى ويذكره بردّة أهل سفاقس إلى أوطانهم ورجوع الآباء إلى الأبناء (١٥).

أخذت سفاقسُ منكَ عهدَ أمان ... وَرَدَدْتَ أهليها إلى الأوطان

أطلقتَ بالكرم الصريح سراحَهُمْ ... فرعوا بقاعَ العزّ بعد هوان

وعطفتَ عطفةَ قادمٍ استيافُهُ ... غُمدتْ على الجانبين في الغفران

كم من مُسيءٍ تحتَ حكمك منهمُ ... قلّدْتَهُ مِنَناً من الإحسان

ومروَّعٍ وقع الردى في رُوعِهِ ... أطفأتَ جَمْرَةَ جَوْفِهِ بأمان

كان الزمانُ عدوّهم فثنيتَهُ ... وهو الصّديقُ لهم بلا عُدوان

يقدم ابن حمديس مجموعة من الصور المتمثلة في قصد الامتنان للممدوح بأفعاله وأفضاله يتمثل في رد أهل سفاقس إليها فوصفه بالوفاء كما وصفه بالكرم في إطلاق سراحهم وردهم إلى العزّ بعد الذل والهوان ، فنلاحظ هنا صورة ضدية تمثلت بين (العزّ / هوان) وهو تضاد سياقي؛ لأن العزّ ضد الذل على المستوى اللغوي والهوان لفظة سياقية، لكن ما يثير انتباهنا في الصور التضاد الحاصل في البيت الأخير (عدوّهم / الصديق / بلا عدوان) فيمكن أن يتشكل تضاد بين ثنائيتين عن طريق اشتراك البؤرة التي تمثلت في لفظة (عدوّهم) فيقع التضاد بين:

عدوهم ≠ الصديق (ايجاب).

عدوهم ≠ بلا عدوان (سلب).

ونجد ان البؤرة (عدوّهم) جاءت بدلالة سلبية على أهل سفاقس؛ ولكنها حملت دلالة الماضي بقوله (كان الزمان عدوّهم) فقد نفيت الدلالة بفعل الممدوح، لأن الممدوح أثنى الزمان الذي كان عدوّهم في لفظة (فثنيته) التي أدت وظيفتين: أولها تأكيد الدلالة الإيجابية في نفي العداوة، وثانيها وجود ضمير (الهاء) الذي يعود على الممدوح ويدل على شجاعته وفضله وقوته في إخضاع الزمان ويظهر من ذلك أن الشاعر استقر في النص عل الالفاظ التي تجمع معاني النص ودلالاته فيدل بذلك على الزمان الذي أصبح لهم (الصديق/ بلا عدوان)، فقد جاءت اللفظتان بدلالة موحدة ومكتملة لأنها تدل على تحقيق آمالهم وانتصاراتهم التي عمد إليه الأمير الممدوح، فشكل حضوره القوة والقدرة على تحقيق الانتصار والانجاز ومنح الشرف والحياة والرؤية الغنية بالقيم الإنسانية [١٦]، ويلاحظ هنا أن التضاد البؤري هو تضاد مجازي كذلك لأنه يصف الزمان بالصديق فـ " التضاد ظاهرة كونية وحالة ذهنية ترتبط بحياة الإنسان وخصوصاً الجانب الاجتماعي منها وفي كل أبعادها ومستوياتها بحيث يستحيل أن نتخيل زماناً خارجًا عن إيقاعات الحياة " [١٧].

وهكذا يمكن أن يجتمع نوعان من التضاد في جهة واحدة متجهة نحو الانسجام وإبراز المعطى الدلالي.

وجاء قوله[١٨] :

خُـذِلوا ومـا نُصـروا علـى مَلِـكٍ ... مـازالَ بـالرّحمن ينْتَصِـرُ

ردّوا المكايـدَ فـي نُحـورِهمُ ... عـن عـادِلٍ بسـيوفِهِ نُحِـروا

نرصد التضاد البؤري في النص بين المفردات (خذلوا / ما نصروا / ينتصر) إذ تمثل لفظة (ينتصر) البؤرة الأساس للتضاد فهي تتضاد مع لفظة (خذلوا) تضاد (ايجاب) وتتضاد مع لفظة (ما نصروا) تضاد (سلب).

فبذلك تتساوى لفظتا (خذلوا = ما نصروا) في المعنى وفي الدلالة السلبية التي تعود على الأعداء وقد قدم الشاعر لفظتين تحملان المعنى والدلالة أنفسهما في السياق؛ وذلك لتعزيز الدلالة السلبية في النص على الأعداء، كما تؤكد اللفظة المقابلة (ينتصر) التي تمثل نواة الدلالة الإيجابية في النص فيها يبين انتصار الملك على أعدائه.

وقال في مقدمة غزلية [١٩] :

طَرَقَـتْ واللّيـلُ مَمـدودُ الجنـاحْ ... مَرْحَبًـا بالشّـمسِ فـي غيـرِ صـباحْ

سـلّمَ الايـماءُ عـنها خجـلاً ... أوَ مَـا كـانَ لهـا النّطـقُ مُـباحْ

غـادَةٌ تحمـلُ فـي اجـفانِها ... سـقمًا فـيه منـيّاتُ الصـحاحْ

لقد احتوى البيت الأول في النص على ثلاث ألفاظ رئيسة تمثلت في تكوين التضاد البؤري (الليل / الشمس / غير صباح) فنرى أن لفظتي (الليل / غير صباح) تعطي معنى واحداً ودلالة واحدة؛ لأن (غير صباح) توحي بالليل، فنستدل بذلك على أن لفظة شمس هي البؤرة التي تشكل تضاداً في البيت بين:

الشمس ≠ الليل (ايجاب).

الشمس ≠ غير صباح (سلب).

فالشاعر رسم صورة غزلية يشير فيها إلى أن الحبيبة طرقت في الليل وهو ممدود، ويصفها (بالشمس) فالشمس هنا غير حقيقية وإنما جاءت مجازية كما هو واضح تحمل دلالة جمالية توحي بالنور والإشراق وما يعمق ذلك ويؤكده مجيئها من غير صباح الذي يؤدي بدوره إلى اضاءة الحبيبة ليلاً.

فأخذت هذه البؤرة بعداً دلالياً عميقًا، فقد يعبر الشاعر عن حالات غامضة تحمل دلالات سياقية لا يمكن بلوغها مباشرةً وإنما من خلال سياق النص الإيحائي من اجل ان ينقل الدلالة الخفية لما يحدده الشاعر [٢٠].

كما قال [٢١]:

ما حبّ شمس عنك تغرب في الفلا من أنجم طلعت بغير غروب

يشير البيت إلى الألفاظ الضدية (شمس / أنجم / غير غروب) إذ تحمل لفظتا (شمس وغير غروب) معنى سياقياً واحداً يشير إلى تكرار وضوح النهار والضوء والإشراق.

أما لفظة (أنجم) فهي تدل على الليل الذي يعني الظلام بالضرورة وهي لا تظهر إلا به، فمثلت لفظة (أنجم) البؤرة الفاصلة بين الألفاظ في البيت، إذ يؤكد بالألفاظ رسم صورة دلالية تعمق وصف المرأة بقوله إن الشمس لا تغرب عنك وعلى الرغم من عدم غياب الشمس تظهر النجوم، ولكن لفظة (أنجم) كسرت سياق النص فهي توحي في البنية السطحية بالليل ولكنها في البنية العميقة جاءت لتعميق دلالة الضوء والضياء والنور.

وجاء قوله في الغزل [٢٢] :

فتـاةٌ لهـا فـي الـنفس أصـلٌ مـن الهـوى وكـلّ هـوىّ فـي الـنفس غيـر بـدعُ

وتبـلغُ بنـتُ الكـرم مـن فـرح الفتـى بلذّتهـا مـا ليـس يبلغـه البتْـعُ[٢٣]

يصـدّ الهـوى عـن قطـفِ رمـان صـدرها وان راقَ فـي خـوط القـوام لـه ينـعُ

وكـم مـن قطـوفٍ دانيـاتٍ ودونهـا تعـرض أشـراع مـن الـرمح أو شـرعُ

تريـك جبينًـا يُخجِـلُ الشـمسَ هيبـةٌ وخَلْقًـا عميمـا فـي الشـباب لـه جمـعُ

وتبسـمُ فـي جُـنح الـدجى وهـو عـابسٌ فيضـحكُ منهـا علـى بـروقٍ لهـا لمـعُ

يمكن ان نستدل على التضاد البؤري في النص بالبيت الأخير بعلاقة الألفاظ (تبسم، عابس، يضحك)، فلفظة (عابس) هي البؤرة التي عبرت عن التقائهما لتشكيل ثنائيات ضدية:

عابس ≠ تبسم.

عابس ≠يضحك.

فالتضاد واقع بين (عابس / يضحك) على المستوى السياقي؛ لأن الضحك ضد البكاء ولفظة (عابس) هي لفظة سياقية توحي بالغضب والحزن أو عدم الرضا تخالف معنى التبسم الذي يحمل الدلالة السلبية، ولكن انتفت اللفظة السلبية (عابس) عن طريق تكرار دلالتين ايجابيتين مترادفتين (تبسم / يضحك) إذ تشير هذه الألفاظ إلى انتقالة من حالة إلى حالة أخرى من حالة (العبس) دلالة سلبية إلى (التبسم) من جنح الدجى الذي يمثل الليل والسواد وبذلك يمثل دلالة إيجابية على الفرح والسعادة، ثم انتقاله إلى حالة (الضحك) الدلالة الإيجابية الأعمق (على بروق لها لمع) الذي يدل على النور والبياض.

فيمكن أن يجتمع في التضاد البؤري تضاد سياقي وتضاد لوني قائم على التبسم في الدجى والضحك على بروق لها لمع فالدجى مثل الليل والسواد والبرق مثل الضوء والبياض، وبذلك أحالت هذه المتضادات إلى ثنائية أخرى لونية هي (السواد / البياض) السائدة في البيت لتحقيق الدلالة الإيجابية للمرأة على الدلالة السلبية.

نتائج البحث

١. يشكل التضاد (البؤري) انزياحًا ملفتًا للنظر؛ لأنه يعتمد على اللفظة (البؤرة) التي لولاها لما تكوّن هذا النوع من التضاد.

٢. يعد هذا النوع من التضاد ظاهرة اسلوبية واضحة في شعر ابن حمديس الصقلي قلما وجدناها عند شاعر آخر.

٣. جمع التضاد (البؤري) بين تضادين قلما يجتمعان معًا ألا وهما تضاد السلب وتضاد الايجاب.

٤ . للتضاد (البؤري) قدرة على كسر أفق التوقع غير اعتيادي كما أوضح البحث.

الهوامش

(١) التضاد في شعر أبي إسحاق الالبيري : د. بسمة محفوظ البك، مجلة جامعة تكريت، مج١٣، ع ١٠، ٢٠٠٦م، ٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧٧ .

(٣) علم الأسلوب مبادئه واجراءاته : د. صلاح فضل ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د . ط)، (د . ت)، ٢٠١.

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،(د. م)، الطبعة الأولى، ١٩٨٤ م ، ١٥٣.

(٥) ينظر: في الشعرية: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية ، ش . م . م ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م ، ٤٩.

(٦) ديوان ابن حمديس : صححه وقدم له: احسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ،(د . ط)، ١٩٦٠م ، ١٤٤.

(٧) الديوان : ١٢١.

(٨) الديوان : ٥٢٥ . ٥٢٦.

(٩) الديوان : ٣٥.

(١٠) المصدر نفسه: ٥١٧.

(١١) الديوان : ٣٦٦ .

(١٢) الديوان : ٥٢٦.

(١٣) الديوان : ٤٦٢.

(١٤) قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية " عَصْرَ الطّوائف ": د. أشرف محمد نجا، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م ، ٢٧٧.

(١٥) الديوان : ٤٩٩.

(١٦) ينظر: الرؤى المقنعة " نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي " البنية والرؤيا : كمال أبو ديب ، المؤسسة المصرية العامة للكتب ، (د . م) ، (د . ط) ، ٢٠٠٢م ، ٥١٢.

(١٧) البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية: سعدية أحمد مصطفى، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان . الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ م ، ٩٥.

(١٨) الديوان: ٢١٩

(١٩) الديوان : ٨٢.

(٢٠) ينظر: الصورة الأدبية: مصطفى ناصف، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨١م ، ٢١٧.

(٢١) الديوان: ٥٨.

(٢٢) المصدر نفسه: ٣٠٨ – ٣٠٩ .

(٢٣) المصدر نفسه: ٣٠٨ – ٣٠٩ .

The Focal Antonym in The Poetry of Ibn Hamdis (D. 527 A.H.)

Assistant Professor Dr. Basma Mahfouz Al-Bak

Faten Taha Ahmed

Abstract

Alhough the poetry of Ibn Hamdees has a variety of antonyms , we found a new type that has not been known before ; the " Focal Antonym " . It is a word that is explicitly similar to another one mentioned in the context and implicitly is a formation of two types of antonyms . Most probably , these two types are positive and negative . And what is new about this types is whenever we delete the word (focal) that form the two types of antonyms, the antonym disappears .